

الملتقى الدولي :

"التاريخ والأجيال، الواقع والمأمول".

2023/12/13

جامعة "الشاذلي بن جديد" ولاية الطارف.

مداخلة من إعداد الأستاذ مُجَّد أوجرتني

عنوان المداخلة

كتابة التاريخ الوطني معالم ومسارات

في طريق البناء الوطني.

m.oudjertni@gmail.com

جامعة الأمير عبد القادر

قسنطينة

عناصر المداخلة:

1. - أهمية التاريخ عند الشعوب.

أ. - علم التاريخ

ب. - أهمية علم التاريخ

2. - المدارس التاريخية الغربية وعي بالماضي وإدراك للمستقبل.

أ. - الانخداع بالمدنية الغربية:

ب. - ضعف إدراك المؤرخين المسلمين لمعادلة الصراع والتحويلات بعد النهضة..

3. - توضيحات الشعب الجزائري على مدار العصور ضد الغزاة والمحتلين.

4. - مساعي الفرنسيين في تذيب الهوية الوطنية.

5. - معالم التشكل التاريخي وضرورات المحافظة عليها.

الملخص:

للتاريخ مكانة هامة في حياة الشعوب والأمم خاصة تلك التي قطعت أشواطاً هامة في البناء الوطني والتطور الشامل، ولا ريب من أن هذه الشعوب قد استوعبت جيداً أهمية التاريخ ودوره الخطير في عملية البناء والبلورة للقيم الأساسية التي يكون عندها البناء قويا ومتماسكا.

ولا حياة للتاريخ ولا معنى له بعيداً عن رؤيته من زاوية كونه علم من العلوم الأساسية توجه له مختلف الإمكانيات المادية والبشرية لتفصيله وبنائه بناءً منهجياً قابلاً للاستيعاب والتأثير، فلا أهمية لهذا العلم إذا بقي مهمشاً عن واقع الحياة بعيداً عن التشاركية في رسم معالم المستقبل.

وقد استطاعت المدارس التاريخية الغربية أن تبني هذا الشق بكل انسجام ووعي بالماضي وإدراك للملابسات المستقبل، وقد عجزت المدارس التاريخية الوطنية والمحلية عن تحقيق السير في هذا التوجه بسبب الانحدار بمعالم وقيم المدنية الغربية التي أرست قواعدها على قناعات فكرية وفلسفية بعيداً عن الشرق وتمثلاته الدينية والروحية.

وقد صاحب عملية البناء التاريخي الجديد مع بداية عصر النهضة والصحو العربية في القرن التاسع عشر ضعف إدراك المؤرخين المسلمين لمعادلة الصراع والتحويلات العميقة الحاصلة بعد النهضة، والنزعة الاستيطانية المادية المتوحشة التي رسم بها سكك المستقبل..

في هذه المعاني تكون مداخلتي التي اخترت لها عنواناً "كتابة التاريخ الوطني معالم ومسارات في طريق البناء الوطني" بحثت فيها عدة أفكار منها تضحيات الشعب الجزائري على مدار العصور ضد الغزاة والمحتلين الأجانب وما تحمل من قيم الإحساس الجمعي بمجال الوطن، ومكائد الفرنسيين آخر الغزاة في تذويب الهوية الوطنية، واستئصالها من البيئة المحلية وتجريدها من عمقها التاريخي، ثم تحدثت عن مخاضات التشكل التاريخي للجزائر، إذ لا تاريخ بدون دولة ونظام سياسي يتبناه في حدوده الجغرافية ومعالم تطوره وتشكله، ثم تناولت معالم التشكل التاريخي وضرورات المحافظة عليها، والمتمثلة في المراحل التي مرت بها المنطقة عبر امتدادها الزمني وجوانب التشارك بين الجماعات البشرية فيها، وفي آخر شيء تحدثت عن أساسيات البناء التاريخي الوطني وخصائصها، وضوابطها والمعالم الكبرى التي يجب على الناس الحفاظ عليها وعدم التشكيك فيها أو عرضها للنقاش السوقي الذي يمارسه المتاجرون المأجورون سواء على مستوى الذاكرة التاريخية الجمعية أو على مستوى مؤسسات البحث العلمي والاستشراف..

الكلمات المفتاحية:

أهمية التاريخ بناءً منهجي معالم المستقبل. المدارس التاريخية الغربية
البناء التاريخي

Summary:

History has an important place in the lives of peoples and nations, especially those that have made important strides in national construction and comprehensive development, and there is no doubt that these peoples have well understood the importance of history and its serious role in the process of building and crystallizing the basic values that make the building strong and cohesive.

History has no life or meaning apart from seeing it from the perspective of it being one of the basic sciences to which various material and human capabilities are directed to detail and build it in a systematic manner capable of being comprehended and influenced. Thus, this science has no importance if it remains marginalized from the reality of life, far from participation in shaping the features of the future.

Western historical schools have been able to build this aspect with complete harmony, awareness of the past, and awareness of the circumstances of the future. National and local historical schools have been unable to achieve this approach due to deception by the features and values of Western civilization, which established its foundations on intellectual and philosophical convictions far from the East and its religious and spiritual representations.

The process of new historical construction with the beginning of the Renaissance and the Arab Awakening in the nineteenth century was accompanied by Muslim historians' weak awareness of the equation of conflict and the profound transformations that took place after the Renaissance, and the brutal materialistic settlement tendency with which the paths of the future were drawn.

In these senses, my intervention, for which I chose the title "Writing national history, milestones and paths on the path to national construction," in which I discussed several ideas, including the sacrifices of the Algerian people throughout the ages against foreign invaders and occupiers, and the values they carry of the collective sense of the homeland, and the machinations of the

French, the last invaders, in dissolving National identity, eradicating it from the local environment and stripping it of its historical depth,

Then I talked about the travails of the historical formation of Algeria, as there is no history without a state and a political system that adopts it within its geographical borders and the features of its development and formation. Then I discussed the features of the historical formation and the necessities of preserving them, represented by the stages that the region went through over its chronological extension and the aspects of sharing between human groups in it, and in The last thing I talked about is the basics of national historical construction, its characteristics, its controls, and the major landmarks that people must preserve and not question or expose to vulgar discussion practiced by paid traffickers, whether at the level of collective historical memory or at the level of scientific research and forecasting institutions.

key words: The importance of history Systematic construction Future landmarks. Western historical schools Historical construction

1. - أهمية التاريخ عند الشعوب.

أ. - علم التاريخ

لا شك أن علم التاريخ، كغيره من العلوم، يقوم على حقائق علمية ثابتة من خلال الأدلة التي تروى عن المكان والإنسان، ومن خلال الأدلة المرئية التي أبرزها علم الآثار بحفرياته وحفرياته، وعلم التاريخ يجذر أحداثا ووقائع مهمة حدثت على الأرض، سواء كان ذلك قبل حياة الإنسان، وكذلك الأحداث التي وقعت بسبب الإنسان، وهو ما يعرف بالتاريخ البشري أو التاريخ البشري.

ومن لا تاريخ فلا حاضر له ولا مستقبل، فالتاريخ هو المحرك والمحفز دائما للإنسان نحو التقدم والتطور، ولا يوجد دليل على ذلك في تاريخ الإسلام الذي مازال المسلمون يطمحون إليه اليوم للمرتفعات وللقمة، لأن لهم تاريخا يدفعهم إلى المجد الذي جلسوا على عرشه ذات يوم، حيث كان لديهم العالم المطيع والملوك الصغار، والتاريخ البشري بشكل عام هو علم تخصص فيه العلماء وكرسوا الكثير من الاهتمام له، وسنقف في هذا المقال على أهم جوانب هذا العلم والأهمية التي يلعبها علم التاريخ.

ب. - أهمية علم التاريخ

يعطي علم التاريخ تصورا دقيقا وواضحا للعالم القديم والتجارب الحية للإنسان، وبالتالي فإن هذه الدراسة هي باب لتجنب الأخطاء التي ارتكبتها القدماء والمصائب والدمار.

يتكون علم التاريخ من دروس من الماضي تفيدنا للتخطيط للمستقبل، فعندما نعرف سيرة الحضارات السابقة، وكيف نشأت، وما هي عوامل ازدهارها وبعثها، وما هي أسباب تدميرها واختفائها، فإننا بلا شك نختصر أنفسنا في العديد من التجارب، دعونا نتجنب الخطأ السابق ونمضي قدما بما يراه التاريخ مناسباً لنا.

إن علم التاريخ يجعل الإنسان مرتبطاً بأسلافه وأصوله، وهو امتداد لذلك، والتاريخ الإسلامي مثال على ذلك، لذلك نقف عندما ندرسه على سيرة النبي محمد ﷺ، وهي جزء كبير من دراسة التاريخ الإسلامي، وهي سيرة النبي، حيث يوجد في سجل هذه القصة معرفة حياة النبي ﷺ، ومعرفة الأحداث والغزوات التي وقعت في زمن رسول الله ﷺ، وكذلك على مر تاريخ العهد النبوي الكريم، نقف من هناك على مصدر أحد المصادر الرئيسية للشرعية الإسلامية، وهو حديث النبي، أي الأقوال والأفعال التي قام بها أو وافق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل الآخرين.

إن علم التاريخ ينصف الأمم ويحافظ على تراث الأمم، لأن جزءاً كبيراً من التراث الذي يميز الدول يعود إلى الحفاظ على التاريخ وتعزيزه بالشكل المميز لتلك الدولة. ومن المفيد معرفة ما كان الحال مع الأمم الراحلة بشكل عام، فمن المفيد معرفة الطريقة التي تقدم بها الإنسان، والتي نتجت أساساً عن تقدم العقل البشري وما رافقه من تقدم في النظريات والفلسفات والعلوم والأفكار المختلفة، حتى وصلوا جميعاً إلى ما بلغوه اليوم، لأن أفكار اليوم ليست مثل أفكار العصور الوسطى.

إن تعميقه يؤدي إلى الوعي بكيفية نهوض الأمم والحضارات المختلفة، وإلى إدراك العوامل التي تسرع من تراجع تلك الحضارات، ولعل أهم أسباب تراجع الحضارة هي الابتعاد عن الأفكار التأسيسية لحضارة معينة، ففي بداية نشوء الحضارة تركز بشكل كبير جداً على أفكارها التأسيسية، أو على الشخص المؤسس، وبعد فترة من الزمن، يبدأ الأفراد في التمرد شيئاً فشيئاً، وتبدأ الطموحات البشرية في الانغماس في النفوس، حتى تنشأ الصراعات، وتسود الاختلافات، وينشغل الجميع بنفسه وطموحاته. وهكذا بشكل عام.

يعرف الناس الآن ما هو مفيد لهم في الحفاظ على نوعهم وأفكارهم وعلومهم وحضاراتهم. يرتبط الناس بالتاريخ بشكل أو بآخر، وإذا حاولنا الخوض في حضارات معينة نجد أن للتاريخ أهمية كبيرة.

2. - المدارس التاريخية الغربية وعي بالماضي وإدراك للمستقبل.

كانت النهضة الغربية التي شهدتها دول أوروبا حدثا بارزا لم تعرف البشرية له مثيلا من قبل، لما أفرزت من تغيرات وتحولات جذرية في أنماط التفكير ومستويات البحث والعلاقات البينية، ومن أبرز الظواهر التي طرأت على المجتمع فلسفة التنوير والحداثة وقضاياها.

انطلق إشعاع التنوير من إيطاليا كما هو معروف عند الدارسين ثم انتشر في بقية أجزاء القارة، التي كانت متعطشة للتغيير وتلهث خلف البحث عن الحقيقة التي طالما أخفتها نواقيس الكنائس بضجيج أصواتها، وهي تنادي لصلاة تمجد الظلم وتقديس الخرافة ولا أثر لها في حياة الناس. لقد كان لانتشار صناعة الورق والطباعة، وتبلور الجراءة على نقد النص الديني المسيحي، دورا بارزا في اكتمال رؤية أعلام التنوير الأوائل لمعالم طريق الإصلاح ومسارته، وما هو إلا وقت قصير حتى استطاعت حركة التنوير أن تقدم نمطا جديدا للذوق الإنساني عبر سحر الفن وجمالية الأدب وأسرار الجمال الكامن في الطبيعة، انتهت هذه التأملات بإحياء الآداب اللاتينية القديمة وانتعاش الحركة الثقافية واللغات المحلية والعودة للاستثمار في المصادر الكلاسيكية الرومانية والهيلينية، في شتى المجالات المعرفية.

إن التنوير كمصطلح فلسفي وتاريخي مستخرج من البنية الفلسفية الغربية لعصور النهضة حينما قام مجموعة من الفلاسفة الغربيين بشق طريق العلم والمعرفة، وتبسيط أنوار العقل عليها، وتحدي الأنظمة الكنسية والكهنوتية التي كانت تتحكم في البلاد وتتصرف في مصير الجماهير ومقدراتهم، بما كانت تملك من سطوة وما كانت تستأثر به من مزاعم الفكر الكنسي المخلص، وما كان تبثه من خرافات محو الذنوب وغسل الأرواح الفاسدة وتوزيع صكوك المغفرة.

وكانت المواجهة بين الكنيسة الكاثوليكية وزعماء الحركة العلمية والتنوير تأخذ في الشدة يوما بعد يوم، ولم يكن من السهل على العلماء والمفكرين تحقيق التقدم نحو تحرير العقول والنفوس من قيود العالم الوسيط وإخراج الناس من دياجير البؤس والعنت والضلال، دون جهاد ونضال كبير وتضحيات، دفع أثمانها العلماء المتنورون الأوائل الذين قاوموا تسلط الكنيسة ولم ترهبهم محاكم التفتيش ومنصات الشنق والحرق التي زرعت بها خلفيات الكنائس وحادائق محاكم التفتيش.

لقد كانت القناعة حاصلة عندهم بضرورة تفكيك الكنيسة وهدم مؤسساتها اللاهوتية وعزلها عن التأثير في المجتمع وفي دواليب السلطة وتحرير التعليم والسلك الكهنوتي من ريقها، وفي هذا المعنى كتب فولتير الفيلسوف الفرنسي يقول: "أن التنوير لن يحدث إلا بتفكك الكنيسة وزوال الأفكار الرجعية وظهور أفكار جديدة يؤمن بها المجتمع"¹..

وكان فولتير يؤمن أن الثورة ستحدث لاحقا وتقلب الموازين، وكان يتنبأ بها ويزعم أنه لن يحضرها بسبب جو الكبت والإرهاق الفكري الذي كانت تمارسه الكنيسة الفرنسية على السكان، لكن الشباب

الذين سيأتون من بعده كما يرى سوف يظلمون بكل شجاعة بالثورة على الكنيسة الفاسدة¹، من أجل ذلك اعتبره الفيلسوف الألماني نيتشه أحد أبرز محرري الروح البشرية².. والملفت للانتباه أن حركة التنوير عرفت طريقها داخل حدود وميادين الدول البروتستانتية كهولندا وانجلترا وألمانيا ثم عرفتها فرنسا متأخرة بسبب التعصب الكاثوليكي الذي حال دون توغل الأفكار الحرة.

ولم يكن التنويريون على قلب رجل واحد في مسألة الإيمان والدين، فرغم وحدة المنطلق فقد انقسموا في فرنسا إلى طوائف ونحل، قسم معتدل وقسم متطرف، فأما القسم المعتدل ومنهم فولتير فكان يؤمن بالله ويرى ضرورة في الإيمان به ليستقيم أمر الناس، ودون وجوده لا يمكن إقرار مبدأ العدالة والمساواة بين الناس ولا يمكن معاقبة المسيئين، ومكافأة أهل الإحسان، وأما القسم الثاني فهم الغلاة من التنويريين الذين كانوا يسخرون من فولتير ويعتبرونه مثالا سيئا للتنوير، أمثال ديدرو³، واعتبروا أن العقل هو الإله الجديد للمسيحية والمسيحيين⁴.

وظل التنوير يتقلب من حال إلى حال أخرى حيث خرج على ديدرو نفسه غلاة أكثر تطرفا منه، حين اتهموه بتقديم تنازلات للكنيسة، لما رأوه يكتب في مقالاته ويذكر النصوص الدينية ويسميتها بالكتابات المقدسة⁵.

ويعد عصر التنوير مرحلة هامة من مراحل البحث عن الذات الأوروبية عاشته القارة العجوز وساهم في إنتاج أفكار وضعية وعقلانية، شاركت في نجاح الثورات الاجتماعية والسياسية التي شهدتها أوروبا خلال القرنين 18م و19م وأسفرت على قيام الدول القومية الحديثة.

وكان للفنون والآداب دورا بارزا في حركة النهضة وجرت العناية بها كثيرا، مما زاد في التمكين للعلوم الإنسانية، وسارت الفنون والآداب جنبا إلى جنب مع الفلسفة والعلوم التجريبية والتأليف السياسية المختلفة، التي اتخذت من النقد اللاذع والساخر من الكنيسة

1- هاشم صالح، المرجع نفسه، ص48.

2- نفس المرجع، ص50.

3- دنيس ديدرو Denis Diderot 1713-1783 فيلسوف فرنسي وكاتب وناقد موسوعي ومسرحي أصدر مع مجموعة من النخب الفرنسية سنة 1751 موسوعة إنسيكلوبيدي الفنون والعلوم والحرف وكان أول رئيس تحرير لها، وكانت محفزة على انتشار الفكر التحرري الذي تبنته الثورة الفرنسية، كان ديدرو من قادة حركة التنوير درس القانون ثم تحول للكتابة والنقد اللاذع للكنيسة وطقوسها مما دفع والده إلى التبرأ منه، انتقل الى روسيا بدعوة من الإمبراطورة كاترين للعمل في مكتبتها وظل بهذا المنصب حتى وفاته.

4- هاشم صالح، المرجع السابق، ص52.

5- نفس المرجع ص53.

وحلفائها أسلوبا في الكتابة، وكان هذا الأسلوب الشعوبي يزيد وينمو، بما في ذلك الفنون والآداب والمسرح والموسيقى وفن النحت والرسم والغناء والأوبرا¹.

فقد ساهمت الموسيقى في رسم الوجه الجديد والمجيد لأوروبا، كما كانت موردا هاما من موارد موارد الأنسنة بكل أشكالها، وكان من أصنافها الموسيقى الدينية الحزينة والموشحات الغنائية والقداديس والقداديس الكنائسية، التي عزفت ألحانها الأخيرة تحت رنين الصلبان ورافقت الإنسان في الغرب في حراكه الكبير للتحرر من قيود الماضي وكتبه، وتحررت الجماهير من عزف الكنيسة الحزين وغرست في وغرست في الناس قيم الثورة والحب والجمال²، وكان روادها ثلة من الموسيقيين المبدعين أمثال الايطالي مونتيفيردي 1567-1643 وفيفالدي والألماني بيتهوفن وفون باخ وأونطوان دقوفراك 1841-1904 وغيرهم³.

ومع بروز النهضة الأوروبية في القرن 16م تعددت مناهج التاريخ واختلف الغربيون في دراسة التاريخ نظرا لاختلاف البيئة السياسية والفكرية وتباين المشارب الفلسفية حيث انعكس هذا التنوع والاختلاف في تباين الاتجاهات التاريخيو والمدارس الفكرية فتباينت تفسيرات التاريخ وتطوّرت مناهج البحث التاريخي وتقدمت أكثر نحو مزيد من العلميّة والمنهجية، ونشأت عدد من المدارس الحديثة كما ذكرنا لتفسير التاريخ. حيث تقوم هذه المدارس بالاعتماد على أنماط جديدة من حيث اختيار المواضيع أو المنهج أو الأدوات، متجاوزة بذلك النمط الكلاسيكي في كتابة التاريخ القائم على الكتابة السياسية الملكية والأمبراطورية واقتفاء أثر القادة والسلاطين ورجال الدين بما يملكون من قوة وتأثير في الجريات، ومن هذه الاتجاهات الجديدة في كتابة التاريخ يمكن ذكر:

المدرسة الإنسانية:

محور هذه المدرسة هو الإنسان، عماد إيديولوجية نخبة عصر النهضة، أوجدت هذه المدرسة مركزية جديدة بعيدا عن الميتافيزيقا والغيب هي مركزية الإنسان نفسه. ويرى المؤرخ الإنساني أنّ دور الإنسان لا يقتصر على العيش من أجل الله والآخرة، وإنما من أجل نفسه والبحث عن السعادة والاستقرار في الحياة الدنيا. وأنّ قيمة الإنسان لم تعد في كرم أصوله وأمجاده الحربية ونبل أسرته وشرفها إنما في نشاطه وقدرته على العمل والإنتاج. وعلى الانسان أن يستقل فكريا ولا يستمد التصورات من أي جهة. والفرد هو قيمة الحياة الحقيقية. وأما الدولة ليست مخصصة للدين والسياسة لا تحمل إي قدسية دينية.

1 - شوقي الجمل وعبد الله عبد الرازق، المرجع السابق، ص18.

2- جورج فرم، المرجع السابق، ص194..

3- جورج فرم، المرجع نفسه، ص197.

ويعمل رغم ذلك المؤرخ الإنساني على دراسة الماضي والإمام بكل صغيرة وكبيرة تتعلّق به، ويهتم بالآثار القديمة والمخطوطات في خزائن الأديرة والكنائس والعائلات الأرستقراطية ويخرجها لاختصاصها للبحث. إن التاريخ الإنساني لا يؤمن بعصر ذهبي معين سابق وان المستقبل غامض وكله شر انما هي دورة حياة وصراع أفكار وقيم. ومن أهم رواد هذه المدرسة: هوقو قروتويوس. بياتوس رينانوس. لورانزو فاللا. جون بودان. وغيرهم

المدرسة الرومنطيقية:

ظهرت الرومنطيقية في بروسيا بألمانيا أواخر القرن الثامن عشر وكانت حركة هذه المدرسة بادئ ذي بدء فكرية فلسفية، ومن أبرز المؤثرات التي ساهمت في بروزه اندلاع الثورة الفرنسية ضد النظام الملكي والفكر الكنسي بفرنسا سنة 1789 حيث ساد بين الناس نقاش عميق حول جدوى هذه التطورات ومغزى الثورات واعتبروها تهديدا لمستقبل أوروبا وتجاوزا لماضيها التليد.

وقد هيمن على الفكر المنطقي في مجال الكتابة التاريخي توجه يدعو إلى الاعتداد بتاريخ أوروبا وبدور طبقة النبلاء وأصحاب المهن الحرة والوظائف العالية، ومحاربة الطبقة البرجوازية الناشئة، وكانت أغلب مواضيع الانتباه التي تغزو نوادي ومواعيد هؤلاء الرومنطيقيون تدور حول أمجاد الحروب الصليبية، ومغامرات النبلاء الفرسان ..

وبعد حين من الزمن انتبه كثير من أنصار المدرسة الرومنطيقية إلى أهمية الطبقات الدنيا الأخرى ودورها في تسطير حلقات التاريخ خاصة حينما رأوا طبقات النبلاء والبرجوازية تحول البلاد كلها في خضم صراعهم ومصالحهم المادية وتهميش طبقات الفقراء والمعوزين والمزارعين وأبناء الشعب عامة.

وقد اهتم المؤرخون الرومنطيقيون في إطار حملتهم على السيادة المطلقة للعقل بالحضارات الشرقية بجانبها الصوفي الباطني، كما وقفوا ضدّ الفردانية، ودافعوا عن الدولة القومية فالقومية وفق رؤيتهم أفضل إطار لتنمية وجود الشعوب وتطوير إبداعها وفيها وضمنها يتطور الرشد ويدع.

ومن أشهر مؤرخيها: شيلنغ، هرذر فلونوز، إيمانن فيخته، والشاعر فرانسوي غوته، أوغستان تيار، والكاتب شاتوبريان.

المدرسة العقلانية:

رفعت هذه المدرسة من شأن العقل ونفت ما عداه من القيم والمعتقدات سواء الموروثة أو الثابتة بنص الدين المسيحي الذي تحتكره الكنيسة الكاثوليكية، وتطوّرت رؤية رواد التاريخ للماضي نتيجة لذلك خاصة بعد ظهور المخترعات الحديثة ويكون التفكير عادة خلف

التحولات التي يحدثها الإنسان في بيئته في ميادين العلم والتكنولوجيا والاختراعات المختلفة والبنى التحتية، وتلعب البيئة والتنشئة والتعليم والتعلم والأنشطة الترفيهية والرياضية والحالة الصحية دوراً مفصلياً في ترويض وضبط عملية التفكير والتفكير والارتقاء بها نحو مدارج الكمال.

وللقراءة والحوار والعلاقات الاجتماعية الحسنة وممارسة الرياضة والمطالعة وحضور مجالات النقاش العلمي والأدبي والفكري والانفتاح على الآراء المختلفة والمغايرة آثاراً إيجابية محمودة على عملية التفكير وسعة الإدراك.

وتغيّرت، وقد ظهرت الاختراعات الحديثة، وابتعد الإنسان عن الإيمان بالخرافات وعمد لإعمال العقل والإيمان به، إضافة للتصديهي لهيمنة رجال الدين واستبداد الحكام، ورفض الحروب مهما كانت دوافعها، وكانت فكرة الحرية هي الفكرة القوية التي ملأت الدنيا وشغلت الناس.

وقد عمد مؤرخو المدرسة العقلانية إلى:

الاعتماد في الكتابة باللغات المحلية القديمة.

الإيمان بالتقدم والتطور الإيجابي لأن التاريخ حسب رأي المدرسة يسير وفق خط تصاعدي. البعد عن التاويل السياسي والتأثر بالمنجزات السياسية وإنما التاريخ شامل لكل جوانب حياة الإنسان السياسية والمادية والثقافية.

من أشهر مؤرخي هذه المدرسة فولتير، إدوارد جيبون، سان سيمون.

المدرسة الوضعية:

قام المؤرخ الوضعي باعتبار العلوم القائمة على التجربة والمشاهدة المصدر الوحيد للمعرفة الحقيقية ودعا إلى ضرورة البعد والنفور من الجزئيات والتفاصيل الذي يدعى بالتاريخ التافه، والاهتمام بالتاريخ الكلي الذي يصنع البطولات.

كما أكدت المدرسة الاهتمام البالغ بالوثيقة المكتوبة والكتابة بلغة محايدة بعيدة عن التعبير الأدبي والفلسفي وضرورة الوثوق من الحدث التاريخي ويثبت تاريخياً متحرراً من انتماءاته السياسية والثقافية والدينية والقومية وما شابه ذلك.

ومن أشهر رواد هذه المدرسة: أوغست كونت، يودور مومسان، إرنست لافيس، ليوبولد فان رانكه، شارل ساينوبوس، هيبوليت تايين..

مدرسة الحوليات:

اعتبرت أزمة 1929 الاقتصادية العالمية أكبر أزمة هزت العالم المعاصر بعد الحرب العالمية الأولى ضربت دول كثيرة في العمق، كفرنسا ألمانيا بريطانيا ثم انتقلت للولايات المتحدة الأمريكية واليابان وروسيا مما دفع المفكرين إلى المزيد من الاهتمام بالمسائل الاقتصادية. فظهر أول عدد من مجلة الحوليات تحت اسم «حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي»، وكان الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي "لوسيان فافر"

والمؤرخ "مارك بلوخ" هما اللذان وضعوا لمسات التاريخ الحولي واعتبرا التاريخ متعدد التأثير فهناك التريخ البطيء الذي يصاحب التحولات الاجتماعية والاقتصادية البشرية وهناك التحولات السريعة التي ترافق التحولات السياسية والعسكرية وقيام الدولة وسقوطها، لذلك سماها لوفافر التاريخ ذي السرعتين.

وأسس العالمان مجلة الحوليات سنة 1922 والتي طرحت دراسة كل ما له علاقة بالمجتمع والاقتصاد والأفكار. ومعارضة التاريخ الوضعي. وتهميش التاريخ القومي والتاريخ شامل للآثار وعلم المستحاثات.

3- المدرسة التاريخية العربية وأزمة الوعي بالذات:

في الوقت الذي كانت فيه النهضة الغربية تقطع خطوات جبارة في مجلة صناعة المعرفة والعلوم في مختلف المجالات كان الوطن العربي والبلاد العربية تعيش في تدهور فكري وحضاري مستمر أفقدها البوصلة والطريق نحو التغيير الحقيقي.

وقد عرفت أغلب البلاد العربية ظهور مؤرخين لا يملكون من الصنعة سوى تقليد السابقين وسرد الأحداث والتنويه بمناقب السلاطين والقادة، ولم يفكروا في بحث أسباب الضعف والتقهر التي تمر بها أقطارهم.

وقد اتسمت الكتابات التاريخية في هذه الفترة بجملة من الخصائص منها:

أ.- الانخداع بالمدنية الغربية:"

عاشت طبقات المؤرخين بعد عصر النهضة حالة من الضياع والتشرد والتشتت في استيعاب علم التاريخ وإدراجه ضمن مكانه الطبيعي وموقعه بين العلوم المختلفة وعلاقته بالمجتمع العربي آنذاك.

فلم تكن الأوضاع الثقافية التي كانت تعيشها الحجاز والبلاد العربية والدولة العثمانية ببروز مؤرخين أقوياء يمكنهم ذلك من رسم معالم لسياسة وطنية ومحلية تحدث الإقلاع الحضاري المنتظر.

وبعد انفتاح الشرق على الغرب من خلال حملة نابليون على مصر سنة 1789 تبين

حجم الهوة التي بين الجانبين

ب.- ضعف إدراك المؤرخين المسلمين لمعادلة الصراع والتحولات بعد النهضة..

إن السباق المعرفي مع الغرب كانت نتائجه وخيمته على الفكر الإسلامي فمنذ عصر النهضة دخل الغرب في سباق محموم من أجل جمع المعرفة واحتكار المناهج العلمية وضبطها وفق المنظور الغربي للحضارة والتاريخ في الوقت الذي أغلق المسلمون فيه باب الاجتهاد بدون أوامر سلطانية ولا فتاوى دينية، إنما وقع القول عليهم بالاكْتفاء بما بين أيديهم من العلوم

والقواعد فسبقهم الغرب واتسعت الهوة الحضارية بين الطرفين إلى عشرات بل مئات السنوات، ففي الوقت الذي كان الغرب يبحث في المادة ومكوناتها والذرة ونواتها والصوت وأمواجه وسرعته والضوء وتقلباته وسرعة الأشياء وكيفية اللحاق بها وفي الأفلاك والأجرام والسماوات والبحار والقارات والإنسان والكائنات المختلفة كان الشرق يعيد استنساخ التفوق وتمجيد حلقات التسبيح حول الأضرحة وعند قبور الأولياء والصالحين مستجلبا النصر والدعم والتأييد والستر من الكفار الذي تحالفوا مع الشيطان وقرعوا أبوابه.

ولما بزغ فجر النهضة العربية كان البون شاسعا بين عالم متحضر متمكن من المعرفة ومطوعا للآلات والأسلحة الحديثة الفتاكة وعالم آخر لا زال يبحث في كتب الأولين ليصحح ما ذكر عن بركة بول النوق وفي الصفات والأسماء والأفعال والقدر خيره وشره؟؟.

وبعد مضي من الزمن القدر الكبير لم يستطع الشرق المتخلف ونخبه الخروج من دائرة التبعية للغرب في بناء العلوم والمعارف وتصنيفها وتبويبها، ولم يستطع التملص من المنهجيات العلمية وطرائق البحث في مختلف العلوم الإنسانية والتجريبية التي وضعها العلماء الغرب، وكانت النتيجة أن وجد الشرق نفسه في موطن المقتنفي لأثر غيره والمفكر بنمطية الغربيين أنفسهم، العاجز عن ربط تاريخه القديم بالواقع المعاصر المير، وفي كل مرة لا يجد الشرق منفذا في بحور العلم إلا تكرار مقولة "حضارتنا فعلت" و"تاريخنا يشهد" و"سير علمائنا الفواحة" وغير ذلك من المقولات التي أكل الدهر عليها وشرب. لكن دون المساهمة الفعالة في رسم معالم التغيير والحفاظ على هوية الشعوب من الغزو الثقافي الأجنبي الغربي.

3.- تضحيات الجزائريين ضد الغزو الأجنبي:

منذ العصور التاريخية القديمة تعرض المغرب الأوسط الذي يشكل كيان الدولة الجزائرية اليوم للعديد من النكبات والمآسي على يد الاحتلال الأجنبي بدءا بالرومان وانتهاء بالفرنسيين الذين استغلوا ثروات المنطقة واستعبدوا أهلها

وعرفت المنطقة "الجزائر" منذ القديم مرور العديد من الإمبراطوريات والدول والحضارات، بما منذ آلاف السنين فمنذ أن استقر حكم النوميديين والفينيقيين والبونيقين الذين تفاعلوا مع سكان المنطقة تعرض الوطن للاحتلال الروماني ثم الوندال القادمين من الشمال، ثم البيزنطيين الذين احتلوا أجزاء كثيرة من الوطن خاصة الجهات الساحلية منه، وبعد الفتح الإسلامي شهدت البلاد تفاعلا حضاريا مع الدويلات التي قامت في المشرق العربي تحت حكم الأمويين والعباسيين، وساهموا في تأسيس دول محلية كدولة الأدارسة فغي المغرب الأقصى والأغالبة في تونس ودولة الرستميين في الوسط، ثم أسس الفاطميون دولتهم في أجزاء كثيرة منها ثم كان للزيريين والحماديين دورا بارزا في تأسيس حواضر كبيرة في كل من بجاية وتيارت والمسيلة بوسط الجزائر، وأسس المرابطون والموحدون والحفصيون ممالك لهم في المغرب الأوسط وكانت للتفاعل البشري للعنصر الجزائري دورا كبيرا فيها.

وفي القرن 16 قدم الجزائريون العثمانيون وأسسوا دولة وطنية من العناصر الكمحلية وأجروا فيها نظماً تتناسب مع الطبيعة المحلية للسكان من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والمذهبية.

وشهدت في القرن التاسع عشر الاحتلال المنطقة خضوعها للاحتلال الفرنسي الذي كان وراء ضعف الدولة العثمانية وإيالة الجزائر .

وقد قاوم الجزائريون هذا الاحتلال لمدة تزيد عن 70 سنة وشملت مختلف ربوع الوطن وهو تعبير ميداني ومجسد للإيمان بفكرة الوطن والدولة التي رسخت وتشكلت لدى الجزائريين مع مرور الوقت وتعاقب الحضارات.

4. - مساعي الفرنسيين في تذيب الهوية الوطنية.

تعد العلاقات الفرنسية الجزائرية في العصر الحديث من أكثر العلاقات السياسية بين البلدان تأزماً واضطراباً انتهت بوقوع الجزائر تحت براثن الاحتلال الفرنسي سنة 1830، وكان السبب في هذا الاضطراب في العلاقات بين البلدين تصرف فرنسا مع الجزائر بمكر وسوء نية لوجود رغبة جامحة في استغلال خيرات البلاد التي لم تكن متوفرة لدى الفرنسيين في بلادهم فضلاً عن حالة الصراع والتنافس مع بريطانيا واسبانيا وهولندا، كما أن وجود طرف ثالث يلجأ إليه الفرنسيون كلما تأزمت العلاقة مع الجزائر ويتقربون منه قصد إعادة الأمور إلى نصابها والمتمثل في الدولة العثمانية قد زاد من تعقيد الوضع السياسي خاصة مع ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية ارتباطاً روحياً قوياً.

وقد انفردت فرنسا دون غيرها من دول أوروبا باكتساب امتيازات تجارية واستثمارية في ساحل الجزائر الشرقي الممتد من بونة "عنابة" حتى القالة حيث يوجد الباستيون الفرنسي، لقد كان لفرنسا امتيازات تجارية هامة وكانت مؤسسات الدولة الفرنسية تدفع جزيات سنوية للداي وبابي قسنطينة مقابل استمرار حقها في صيد المرجان واحتكار تصدير الحبوب نحو أوروبا¹، مثلما احتكرت دول أخرى تصدير هذه المادة الهامة من ميناء ارزيو باتفاقات مضبوطة مع الحكومة ومقابل معلوم سنوي².

كانت حالة العلاقات في اضطراب أغلب الأوقات خاصة في الفترة القرن 16 و 17 الميلادي بسبب الأطماع وعقيدة حب التفوق والاستلاب على الأرض الجزائرية³

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الحديث، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، 1970 ص 09.

2 - عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1972، ص 303.

3 - جمال قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790-1830، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر 2012،

فبعد سقوط الجزائر سنة 1830 باشرت سلطات الاحتلال بتوجيه من القائد برتيزين بالتنقيب عن الآثار في المنازل والحدائق العامة بمدينة الجزائر وضواحيها التي وقعت تحت السيطرة، لقد كان الطريق شاقا وصعبا لكنه لم يكن مستحيلا بالنسبة للنخب السياسية والعسكرية والثقافية والدينية الفرنسية التي وحدت وسائلها وجهودها لخدمة هدفين أساسيين في تلك الفترة الأولى دراسة وإعادة قراءة تاريخ الجزائر وفق فلسفة المدرسة الغربية الكولونيالية، والثاني تجسيد أهداف الحملة العسكرية لسنة 1830¹.

وتعد الكتابات التاريخية الأجنبية رغم ما تتسم به من عنصرية وتحقير أحيانا وبعدا عن الموضوعية أحيانا أخرى من الأهمية بمكان، فهي تمكننا من فهم وكتابة تاريخ الجزائر وفق ما يطرحه الآخر، الذي يقود اليوم قافلة البحث العلمي والكتابة التاريخية ويحدد مساراتها القيمة²، كما أنها تمكننا من نقد هذه الكتابات والتعرض لهذه الرؤى والتصورات بالنقد والتحليل، لمضامينها التي لا تخلو من قيم الاستهتار والرغبة في الانتقام مما يفقدها الكثير من الموضوعية.

ويذكر أن أغلب الكتابات التي تناولت التاريخ المحلي لم يكتبها مؤرخون متخصصون فهناك عشرات المئات من المؤلفات كتبها قادة الجيش الفرنسي كمدكرات لهم عن تجربتهم في الجيش الفرنسي العامل بإفريقيا،

وتعددت دوافع البحث في تاريخ الجزائر عند هؤلاء ومن ذلك الرغبة في التعرف على الشعوب الإسلامية ومعرفة عناصر القوة الفكرية والثقافية التي تحتزنها، من أجل تكريس السيطرة والاحتلال الذي لا يكون إلا بالسيطرة الفكرية وقراءة تاريخية تنفيذ مشاريع الاحتلال. كما كان للفضول العلمي الذي غذته النهضة الأوروبية التي دفعت الغربيين لغزو الأفاق في سبيل البحث والسيطرة وتكريس غلبة ورقي العنصر الأبيض³.

ويمكن القول أن الإدارة الاستعمارية قد انطلقت في دراسة مختلف عناصر البيئة المحلية والموروث الثقافي والعادات المكونة للمجتمع الجزائري وتاريخ الحقبة ما قبل الكولونيالية بعدما حددت الأهداف ورسمت الغايات فهيمت هذه الدراسات والقراءات الموجهة على الطابع العلمي العام والذي سيقدم التصورات الأساسية لكتابة تاريخ المنطقة⁴.

وكتب أحد ضباط الحملة الفرنسية على مدينة قسنطينة سنة 1837 يدعى **Barthelme**, **A** بارتيليمي أوغيست⁵ 1867-1796 "قسنطينة أغاني الحرب مهدى إلى الجيش الفرنسي بإفريقيا"،

1 - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1979، ص 18.

2 - مسعود بقادي، المقال السابق.

3 - سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، القسم الأول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الجزائر،

1981، ص 18.

4 - سعد الله أبو القاسم، المرجع نفسه، ص 18.

5 - Barthélemy, A. Constantine :chant de guerre dédié à l'armée d'Afrique. 1857

ويتضمن هذا الكتاب إشارات بأعمال وإنجازات الفرنسيين بعد احتلال الجزائر وقسنطينة ودعوة للتمسك بهذه المكتسبات، ومما جاء فيه: "فرنسا كنت ثابتة حينما سالت دماؤك الزكية من كل وحينما بلغت الأخبار مدينة باريس تنبئ عن موت 40 ألف فرنسي؟ آه هل انطفأت أمجادك الصلوات تملأ البراري؟؟؟..."¹

وفي الصدد نفسه كتب الجنرال شارل زيمي كادارت كتابا بعنوان " ذكريات عن يوميات ضابط صف الهندسة"، يذكر فيه كل ما رأى وما عايش خلال رحلته من طولون مدينة عنابة ثم قسنطينة ثم تسجيله لمختلف عملية البناء والتعمير لمقاطعة قسنطينة وشق الطرق والقنوات وبناء الجسور لفرض السيطرة الاستعمارية الفرنسية على هذه الجهات².
وكتب سالفار فيليكس³ " أربعة قصائد شعرية حول حملتي قسنطينة، إهداء للدوق دو نيمور le duc de Nemours، أشبعها بروح الوطنية وأمجاد الفرنسيين التي سيسجلها التاريخ بعد سقوط قسنطينة بيد الاحتلال الفرنسي ومما جاء فيها:

فرنسا هزمت حشود افريقيا.

على قراهم ترفرف ألوان النصر.

على قمم الأطلس الجنود يحملون الأعلام.

العرب والقبائل الأقوياء والبدو والرحل .

وضعوا مجدهم الخائن وعجرتهم على الأرض.

معتزفين بسيادة الجيش المنتصر على شواطئ البربر.

إلا رجلا اسمه أحمد رفض الخنوع..

وأبى إلا إهانتنا من على قلاع مدينته.

هذا الطاغية المجرم يأبى إلا أن يؤلب علينا العرب.

لكن يقينا سيلقي سيفه... وستدفع الثمن مدينته لجرأتها..

لقد كان سقوط قسنطينة في 1837/10/13 مؤشرا لبداية مرحلة جديدة وحرب

شاملة على مكونات الموروث المحلي.

1 -Salvaire, F. Les deux expéditions de Constantine : poème en 4 chants, dédié à S. A. R. Mgr le duc de Nemours. 1838

2 - Cadart, C R . Souvenirs de Constantine: journal d'un lieutenant du génie, rédigé en 1838-39 Paris. . 1894.

3- opcit. p12

وشكلت الكتابة في تاريخ الإيالة قبل 1830 محور اهتمامات الباحثين الفرنسيين، حيث زخرت الحقبة العثمانية بكتابات متعددة نالت الكثير من الرعاية والتشجيع من طرف سلطات الاحتلال نظرا لما تقدمه من فوائد جمة لعمليات الاستيطان ونقل صورة الإيالة القديمة المشاغبة وهي انهارت تحت براثن الغزاة.

والكتابات التي تناولت تاريخ الجزائر في العهد العثماني كثيرة، ولا نبالغ إن قلنا أنها تعد بالآلاف بالآلاف كتبها الفرنسيون والأوروبيون وشملت مختلف الميادين على شكل رسائل مختصرة أو تقارير قنصلية تقارير قنصلية أو مذكرات شخصية للأسرى والعسكريين، ويمكن الإشارة إلى بعضها على سبيل المثال لا المثال لا الحصر، فقد كتب **فراي دييغو دو هايدو** fray diego de haëdo عن الأسر في مدينة الجزائر، و"تاريخ ملوك الجزائر" و"وصف الجزائر وتاريخها العام"¹، وكتب الطبيب الإنجليزي طوماس شو كتابه رحلة في إيالة الجزائر²، وكتب فيليبو باناتي مختصر عن إقامة في مدينة الجزائر ، relation d'un séjour à Alger ، وأما هنري ديغرامون H.-D. De Grammont فكتب تاريخ الجزائر تحت الهيمنة التركية 1515-1830³. فضلا عن كتابات بيسونال وديفونتان، وتحدث ساندار رونق وفرديناند دونيز Sander Rang Et Ferdinand Denis عن تأسيس إيالة الجزائر وتاريخ الاخوة بربروس من خلال مخطوط عربي يذكر فيه حملة شارل كانت على الجزائر⁴، وكتب أوجان بلانتيي عن المراسلات التي كانت بين دايات الجزائر وفرنسا من 1579 إلى 1833 وهي مراسلات مهمة تجسد حقيقة وجود كيان الدولة الجزائرية⁵

1 - فراي دييغو دي هايدو Diego de HAËDO. مؤرخ إسباني عاش حتى أواخر القرن 17 في بلاد الباسك، الجذب للسلك الديني بعد ما أصبح أحد أقاربه رئيس أساقفة مدينة باليرمو الايطالية فصار دييغو هو الآخر قسيسا ثم رئيس الدير في مدينة فرومستا. Fromesta. شمال اسبانيا وبه التقى بالأسرى المسيحيين الذين يعملون في الدير وتم اقتداؤهم من الأسر بإفريقيا، ومن خلال ملاحظاتهم ألف هايدو كتاباته منها: طوبوغرافيا الجزائر و تاريخها العام. تاريخ ملوك الجزائر. عن الأسر في مدينة الجزائر .

2- Shaw, Thomas Voyage dans la régence d'Alger, ou Description géographique, physique, philologique, de cet état, Traduites de l'anglais... par Mac McCarthy, Marlin Editeur Paris 1830

3 -h.-d. de Grammont, histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830 paris.1887.

4- S Rang et F Denis. foundation de la régence Alger, histoire des Barberousse chronique arabe du XVIe siècle sur un manuscrit de la Bibliothèque royale, avec un appendice et des notes expédition de Charles-Quint. aperçu historique et statistique du port d'alger, paris1837.

5 - Eugene Plantlet, Correspondence des Deys d'Alger avec la Cour de France, 1579 - 1833 t2 , (1700-1833) ,Paris, 1889

ويعد بيار دان 1580-1649 القس المسيحي الإسباني صاحب كتاب "تاريخ بربريا وقراصنتها"، من أكثر الكتاب الغربيين تطرفا، حيث قدم صورا قاتمة عن السلطة والأترك والبربر والممارسات التي كانت شائعة، والتي توحى حسب رأيه بانعدام وجود دولة تسيطر البلاد وتنظم شؤونه، وذات معالم واضحة، فقد تحدث عن السلطة السياسية القائمة سواء في القسطنطينية أو في مختلف إيالاتها، معما أحكامه بصورة قاسية فضة، فيقول: "يجب التسليم والإيمان أن البشوات وقادة الجيش وهم سادة المنطقة كانوا يختارون أولا من الأسرى الرجال المهمين الذين يبعثون بهم لسيدهم الكبير في القسطنطينية، ويختارون في نفس الوقت أفضل النساء والصبايا الجميلات، اللواتي يحتجزن في جناح الحرم، ويقوم بحراستهن الجنود، في الوقت الذي يشبع فيه السلطان نهمه من ممارسة العهر معهن، وفي بعض الأوقات تتحول إحداهن إلى زوجة للسلطان وتجلس على العرش"¹

ويضيف بيار دان: "ومهما يكن فإنني لم أجد في العالم من يستحق أوصاف البخل الأترك والبربر، وليس أدل على ذلك أكثر من استمرارهم في ممارسة أعمالهم الحمقاء التي لا وتعذيبهم للنصارى الأسرى لديهم لا حد له، من أجل افتدائهم والحصول على المال"². ويقول واصفا السكان بالبرابرة أن هؤلاء المتوحشون يقودون الأسرى³ إلى بيوتهم ويوهونهم أنهم دفعوا فيهم أموالا طائلة وأن عليهم فعل ما يمكن لتحريرهم وافتدائهم، وكانت حماقات هؤلاء البرابرة لا تنتهي، فبعض الأسرى كانوا ينقلونهم بالسلاسل تزيد وزنها عن "100 رطل" ويجبرونهم على السير بها في الطرقات⁴.

وكتب بيار دان لملك فرنسا يا صاحب الجلالة عليك جمع المحاربين الذين لا يقهرون لمرافقة أميرهم في مثل هذه الحرب المقدسة. هذا أقل ما يجب أن نأمله، وهكذا سنقاتل من أجل قضية الله، لن نتوقف عن الدعاء إلى الله من أجل الحفاظ على جلالته الملك. لا شك في المعاملة السيئة التي يتلقاها المسيحيون من هؤلاء الكفار، والتي ستضعون حدا لها. خادمكم الوفي بيار دان...."

5- معالم التشكل التاريخي

1 - Pierre Dan, Op.cit .p 397

2 - ibid. p 397

3 - ibid. . p400

4 - الذي يسلم بشهادات بيار دان المبالغ فيها يمكنه أن يصور الجزائر في هذه الفترة بصور قاتمة يعجز القصاصون ورواة الخيال

التنبؤ بها والتدقيق في تفاصيلها.

قد لا يختلف اثنان حول معالم التشكل التاريخي الذي مر بها القطر الجزائري عبر مختلف مراحل التاريخ وعلى الطبقة العلمية التاريخية الاجتهاد في تجلية هذه المحطات واستفراغ البحث التاريخي الذي يتعلق بها من كل الزوايا والجوانب، بل يجب الذهاب بعيدا في اعتبارها ثوابت تاريخية لا يجوز الطعن فيها بالجملة، والسعي للنيل منها والتشكيك في وجودها ومكانتها في تاريخ الشعب الجزائري، كما يفعل اليوم الكثير من المغامرين الحضاريين وأدعياء الكتابة التاريخية، خاصة إذا كانت أعمالهم خالية من المنهج العلمي التاريخي المعروف ولا تستند إلى وثائق تاريخية صحيحة، ولا يعد هذا تجنيا على الحرية التاريخية ولا تضييقا على الكتابة والتفكير والنقد، وإنما هو سعي لضبط السياسة التاريخية والفلسفة التاريخية المحلية التي ستؤدي حتما إلى إرساء أساسيات البناء التاريخي الوطني والتي تتخذ من جملة من المعطيات التاريخية والتحويلات الأساسية كمعلم من معالم التشكل منها:

اعتبار الوجود الجزائري قديما منذ القرون الأولى للميلاد بل وما قبل الميلاد وفي العصور التاريخية المبكرة.

تفاعل الجزائر مع العناصر الأجنبية الوافدة والمحتملة سواء عسكريا أو تجاريا كل بما يتناسب مع طبيعة علاقته بالجزائر.

اعتبار الوجود السياسي للإسلام وانتشاره في المغرب الأوسط رافدا إيجابيا تفاعلت معه العناصر الوطنية وساهمت في بلورته وصناعته محليا ودوليا.

اعتبار الوجود العثماني غطاء مشروعاً لحماية الجزائريين من التغول الصليبي الذي قادته دول أوربا في القرن السادس عشر ومنها فرنسا وإسبانيا وبريطانيا حيث قامت هذه الدول بأكثر من 70 محاولة لاحتلال المغرب الأوسط بينما دخلت دول الجوار في تحالفات خسيصة معها عوض القيام بتنسيق المقاومات بصورة مشتركة.

تعد سنة 1830 بمثابة نكبة كبيرة هزت أركان المغرب الأوسط وعمل المعتدون على اجتثاث الوجود الجزائري وتدجين السكان واستعبادهم واستغلال ثروات البلاد والتسبب في إبادتهم وتهجيرهم وسلب ممتلكاتهم.

اعتبار المقاومة الوطنية التي قادها أحمد باي في قسنطينة منذ 1830 حتى 1848 والأمير عبد القادر من 1833 إلى 1847 من أكثر المقاومات شمولية وحاولت حماية السكان وتنظيم شؤونهم التي بعثرتها قوات الاحتلال الفرنسي العاشم.

المقاومة السياسية جهد وطني كبير قامت به النخب الوطنية سواء المتأثرة بالمدرسة الفرنسية أو المدرسة الشرقية وساهمت في البحث عن حلول لأزمة الشعب الجزائري ووضعته تحت الاحتلال الفرنسي الذي رفض تقديم أي تنازلات في حماية الجزائريين وتمكينهم من التعلم وتحسين ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية.

اعتبار حوادث 1945 جريمة بكل المقاييس في تاريخ الاحتلال الفرنسي حيث قتل الأهالي ببرودة دم من طرف الدولة الفرنسية ممثلة في جيشها وشرطتها وجندرتها والمعمرين الذين مارسوا عملية القتل العشوائي دون اعتبار للجوانب الإنسانية.

النشاط السياسي والنضال الوطني قواسم مشتركة تجمع أغلب التيارات الوطنية التي ظهرت بعد 1945 منها التيار الاستقلالي والتيار الإصلاحية والتيار الإدماجي، فضلا عن نشاط الشخصيات الوطنية المستقلة في الميدان السياسي والثقافي والإعلامي، وقد اجتهدوا ضمن ما تسمح به القوانين الفرنسية المنظمة للنشاط العام، وما تأثرت به مبادئهم وأفكارهم.

تمثل الثورة الجزائرية معلم تحول بارز ساهم في صناعته الجزائريون ونالوا بفضل تضحياتهم الحرية والاستقلال، وهي امتداد للنضالات الماضية لهم ضد الاحتلال الفرنسي.

الخلاصة:

للتاريخ دور خطير وحاسم في عملية بناء وبلورة القيم الأساسية التي يتكون منها البناء ليكون قويا ومتماسكا.

إذا نظر للتاريخ من زاوية كونه علم من العلوم الثانوية وليس الأساسية فقد قوته وفقدت المجموعات البشرية البوصلة التي توجهها نحو الطريق الصحيح للمستقبل.

تمكنت المدارس التاريخية الغربية من بناء الوعي بالذات بكل انسجام مع الحاضر والحدائق ووعي بالماضي وإدراك لملازمات المستقبل وتناقضاته.

البناء التاريخي الجديد مع بداية عصر النهضة والصحة العربية في القرن التاسع عشر ضعف إدراك المؤرخين المسلمين لمعادلة الصراع والتحويلات العميقة الحاصلة بعد النهضة، والنزعة الاستيطانية المادية المتوحشة التي رسم بها سكك المستقبل..

لقد عجزت المدارس التاريخية الوطنية والمحلية عن تحقيق السير في هذا التوجه بسبب الانخداع بمعالم وقيم المدنية الغربية التي أرست قواعدها على قناعات فكرية وفلسفية بعيدا عن الشرق وتمثلاته الدينية والروحية.

كتابة التاريخ الوطني لا بد أن يتأسس على معالم ومسارات تدور حول عدة أفكار منها تضحيات الشعب الجزائري على مدار العصور ضد الغزاة والمحتلين الأجانب وما تحمل من القيم الجامعة والأحاسيس المشتركة بمجال الوطن ووحدته.

التاريخ ينصف الأمم التي تعي بدوره ويحافظ على تراثها من الضياع والاهمال والتراث جزء لا يتجزأ من التاريخ الذي يجب الحفاظ عليه.

تشكل كيان الدولة الجزائرية اليوم بعدما مر بالعديد من النكبات والمآسي على يد الاحتلال الأجنبي بدءا بالرومان وانتهاء بالفرنسيين الذين استغلوا ثروات المنطقة واستعبدوا أهلها. النخب السياسية والعسكرية والثقافية والدينية الفرنسية التي وحدث وسائلها وجهودها لخدمة هدفين أساسيين في تلك الفترة الأولى دراسة وإعادة قراءة تاريخ الجزائر وفق فلسفة المدرسة الغربية الكولونيالية، والثاني تجسيد أهداف الحملة العسكرية لسنة 1830.

تعد الكتابات التاريخية الأجنبية حول رغم ما تتسم به من عنصرية وتحقير أحيانا وبعدا عن الموضوعية أحيانا أخرى من الأهمية بمكان، فهي تمكننا من فهم وكتابة تاريخ الجزائر وفق ما يطرحه الآخر.